« مؤاخذة العلمـــاء »

والرد على جريدة طرابلس

كم أداوى القلب قلت حيلتى كلما داويت جرحاً سال جرح

ذكرنا فى العدد الماضى أننا رأينا فى جريدة طرابلس مقالة كليالى الشتاء أى طويلة مظلمة باردة تعتذر فيها عن العلماء الذين أهملوا وظائفهم فى إرشاد الأمة وتزعم أنهم غير مؤاخذين بترك الواجب عليهـم لأوهام وتخيلات ذكرتها ولولا خشية انخداع الناس بقولها وتوهم صاحبها أنه جاء بحق مقنع لمـا تعرضنا للرد عليها ولـكن هـذه المسألة التى تنفيها هى ونثبتها نحن (مؤاخذ العلماء بترك إرشاد الأمة الذى هو مناط سعادتها بالاتفاق حتى من جريدة طرابلس) هى القطب الذى يدور عليه مارجوه من إصلاح حال الأمة ولذلك نرى من الواجب أن نزيح عنها شبه المشتبهين . ونزيل تمويه المموهين « ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وإن الله لسميع عليم » أى ليظهر للمرتاب فى كونه مؤاخذاً أنه مؤاخذ فيكون هلا كه بترك الواجب إذا هو تركه عن بينة وحياته بالقيام به إذا هو فعل عن بينة والله سميع لأقوالنا عليم بنياتنا فيجازينا عليها .

أما كون المقالة باردة فقـد عنينا به مافيها من التنديد بأحـد الـكتاب ونبزه بالألقاب . وقد انبعق قلم كاتب المقالة فى هذا ونضح إناؤه بما لعله يعيبه على غـيره إذا هو صدر منه وعهدنا بأناته أنه لا ينطق بمثل ذلك الـكلام إلا إذا غلب على أمره بانفعال شخصى قوى . أما المصالح العامة فإنه فيها هين وكلامه لين . وأدب الشرع فى الوعظ معروف وهو الشدة فى الـكلام العام الذى يوجه إلى صـنف من الناس

بحسب درجة انحرافهم حتى جوز لعن الفاسقين ولم يجوز لعن كافر معين بالشخص أو الوصف الذى يتعين به وياليت شعرى هل يقول إن رمى أحد الناس بالغلظة والفظاظة والسفه والحمق يكون من الرقة واللطافة والحلم والعقل التى ينضح بها إناء الإنسان الكامل .

وأما كونها مظلمة فلما فيها من المسلطة واشتباه الحق بالباطل وتمويه الصواب بالخطأ الذى يرمى الأمة فى هوة اليأس والقنوط بزعمها أن العلماء سقط عنهم وجوب إرشاد الأمة مع الاعتراف بأن نهوض الأمة منوط بإرشادهم وأن التبعة ينبغى أن تلقى على الأغنياء وعللت ذلك بقولها « إن المطالب أولا وبالذات بالإنشاءات العمومية التى بها نجاح الأمة هم أهل الثروة وذوى (كذا) الغنى » ثم اعترفت « بأن أرباب الثروة ليسوا كلهم عارفين ثمرات تلك المشروعات العمومية » وأنهم يحتاجون إلى موقظ ينبههم من هذا السبات وأنه « ليس ثمة من موقظ ذلك الإيقاظ ومنبه ذلك التنبيه وباعث ذلك البعث إلا قيام العلماء نافذى الكلمة ـ يعظون المواعظ الحسنة ويخطبون الخطب الطنانة ويتكبدون مشاق الأسفار وينشرون فى الجرائد خطاباتهم دون إسرار » وأنت ترى أن هذا يرجع باللائمة على العلماء أولا وبالذات خلافا لقوله الأول لأن الأغنياء لا ينبعثون إلى العمل إلا بإرشادهم كما قال فهم المطالبون بالإصلاح قبل كل أحد .

إن صاحب العلم الإجمالى عند ما يتكلم فى مسئلة غير محيط بأطرافها وعلى غير بينة من جميع دخائلها وعوارضها ربما يحتج على النفى بما يقتضى الإثبات وعلى الإثبات بما يقتضى النفى ويقر بالشىء فى معرض الإنكار وينكره فى معرض الإقرار فتأتى فى تضاعيف كلامه القضايا الصحيحة فى غير مواضعها فلا يكاد يستفاد منها ولكن عندما تقوم الحجة عليه بنفى شىء أو إثباته يتنصل ويخطىء صاحب الحجة مستدلا

بأنه قال كذا فى مكان كذا ومن هـذا القبيل ذكر جريدة طرابلس أن المطالب بنجاح الأمة أو وبالذات الأغنياء فإنه لا معنى لذكره فى مقام رفع التبعة عن عواتق العلماء إلا إذا كان صحيحاً على إطلاقه لـكنه ليس بصحيح لأن الأغنياء يحتاجون قبل ذلك إلى من يعرفهم بمنافع الإنشاءات العمومية كالمدارس والمصانع وقد اعترفت الجريدة بذلك كما علمت وأهم من هذا حاجتهم قبل ذلك إلى تهذيب يجمع كلمتهم وينفخ فيهم روح الثقة الوطنية فإن أهل الشرق الآن لا يكادون يثقون فى الأعمال العمومية إلا بالأجانب .

الأعذار الثلاثة

اعترفت الجريدة المذكورة بأن الواجب على العلماء إرشاد الخلق إلى مصالح المعاش والمعاد ولـكن زعمت أنهم بتركه معذورون وبتفويته (كذا فى الأصـل) غير موزورين وانتحلت لذلك أعذارا ثلاثة نذكرها ونبين فسادها (العذر الأول) ملخصه أن العلماء فى الغالب ليسوا أصحاب ثروة وأن أغلبهم يعيش من نحو تدريس أو إمامة أو خطابة ومداخيل (كذا فى الأصل) هـذه الوظائف قل أن تزيد عن الـكفاية قال الـكاتب « فإذا أرادوا أن يقوموا فى تلك (كذا) الوظيفة التى نقول انها واجبة عليهم وهى وظيفة تحتاج لتفريغ أوقات كثيرة للقيام بالخطب والمواعظ ونشر المقالات الحائة فى الجرائد وتجشم أسفار ـ فمن يأتى يقوم بمصارفهم (كذا) إن قاموا بتلك الأعباء » الخ .

الجواب : إن هـذا العذر ممثل للذنب تمثيلا لايدع للتمويه والانتحال سبيلا . ذلك أن ماهو مورد رزقهم من الخطابة والتدريس لو قاموا به حق القيام لأدوا